توجيه هذه الذرية

إلى براهين العقيدة الأشعرية

تأليف

الشيخ عادل بن شعيب شلار الرفاعي الحمصي

الشافعي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل دينه موافقا للفطرة وسائغا للعقول والصلاة والسلام على أفضل خلق الله نبراس الوصول إلى كل حق وخير مأمول صلى عليه الله وعلى آله وصحبه صلوات وتسلم تسليمات عظيمة تكون لنا سبب القبول .

وبعد :

فهذه مجموعة من الأدلة العقلية التي تبرهن على صحة العقيدة الأشعرية من ناحية العقل سميتها (توجيه هذه الذرية إلى براهين العقيدة الأشعرية) وهي رسالة مكملة لرسالة (إسباغ الغنيمة المباشرة في إبلاغ عقيدة الأشاعرة) التي اقتصرت فيها على أدلة العقيدة الأشعرية من الكتاب والسنة والصحيحة .

١ – دليل الصفة النفسية :

الصفة الأولى الواجبة عقلاً هي الصفة النفسية وهي صفة الوجود .
وسمي الوجود صفة نفسية لأن العقل لا يستطيع أن يعقل الموصوف بدون الاعتراف بوجود الموصوف ولا يستطيع العقل التفريق بين الموصوف وبين وجوده.

أدلة وجود الله عقلاً:

وجود هذه المخلوقات المختلفة بصفاتها ، وهذا العالم المتغير من وجود إلى عدم ومن حركة إلى سكون ومن سكون إلى حركة ، فبعضه أحمر وبعضه أسود وبعضه ابيض وبعضه في مكان وبعضه في مكان وجهة اخرى وبعضه علوي وبعضه سفلي وبعضه نوراني وبعضه ظلماني وبعضه لطيف وبعضه كثيف ، فهذا كله يدل على ان العالم حادث وانه لا بد من فاعل مختار رجح الوجود على العدم وخصص الاشياء في جهة وحركة وزمان و....

والأدلة العقلية على وجود الله التي اتفق عليها جميع العقلاء هي اربعة :

1-بطلان التسلسل : لأن من انكر وجود الله فانه سيقع في التسلسل إلى مالا نهاية عندما يتأمل في المخلوقات فلا بد عقله ان يصل إلى السبب الذي أوجد هذا الخلق.

2-بطلان رجحان الشيء بغير مرجح لأن من انكر وجود الله لا يستطيع عقله أن يبرهن أن شيئا معدوماً وجد دون موجد له

3-بطلان الدور : لأن منكر وجود الله يهرب من خذلانه العقلي إلى خذلان أكبر حيث يقول الخلق الاول هو الذي خلق نفسه ، وهكذا جعل المخلوق الذي لم يكن موجودا خالقا لخالقه .. وهذا من قاله لا يشك في فقدان آخر ذرة من عقله

4-دليل الفطرة : وهذا الدليل يجده كل انسان ، حيث يتوجه الانسان بكل كيانه إلى الايمان بأن ثمت إله قادر خلق هذا الكون ،

وهذه الفطرة تظهر إذا كان في البحر فاذا أدركه الغرق فان فطرته تنادى الرب القادر وتستغيث به.

2– دليل اتصافه بالقدم :

–إذا لم يكن قديما فسيكون حادثا ولابد ان يكون له محدث وهكذا لن نقف عن التسلسل حتى نصل للخالق الذي خلق الحوادث ، أو سنقول برجحان الشيء بغير مرجح وهذا باطل بالعقل ، أو سنقول بالدور وهو باطل ايضا . فلزم من ذلك الاقرار بقدمه سبحانه

–وبما أن العالم حادث والحادث لا يملك الوجود لنفسه فلا يفيضه على غيره ، فلو لم يكن خالق الحوادث قديما فلن يفيض بالوجود على العالم.

–بما انه ثبت في العقل قدم ذاته واجبة الوجود قديمة فلا بد ان تكون صفاته قديمة لأن الصفات قائمة بالذات وذاته قديمة.

3- دليل اتصافه بالبقاء:

لو كان قابلا للفناء لكان حادثا ، وقد أثبتنا بالعقل وجوب وجوده فيما سبق وأثبتنا وجوب قدمه ، فالعقل يحكم بعد هذا الاثبات ان واجب الوجود القديم يستحيل أن يفنى لأنه ليس حادثا.

٤ - دليل مخالفة الحوادث:

إذا لم يكن مخالفا للحوادث فسيكون مماثلا للحوادث لو ماثل الحوادث لكان حادثا مثلهم ولو كان حادثا لما كان واجب الوجود ، وقد أثبتتنا بالبرهان العقلي سابقاً على انه واجب الوجود وأثبتنا سابقا بالدليل العقلي على أنه قديم باقي فلذلك وجب في العقل الحكم على واجب الوجود القديم الباقي بانه يخالف الحوادث في ذاته وصفاته وأفعاله.

5- دليل العقلي على قيامه بنفسه :

-لو احتاج إلى ذات يقوم بها لكان صفة والصفات لا تتصف بالصفات عقلا .

-ولو كان محتاجا إلى مرجح لكان حادثا ، وهو باطل عقلا بالدليل العقلي الذي ذكرناه سابقا على وجوب القدم له تعالى.

6- الوحدانية:

يقصد بالوحدانية هو انه واحد في ذاته لا يتعدد ولا ينقسم ولا نظير له في ذاته ، وأنه واحد في صفاته فليس له صفتان او اكثر من جنس واحد كقدرتين وعلمين وليس لأحد صفات مثل صفاته ، وأنه واحد في أفعاله فلا خالق سواه ولا يشاركه في أفعاله أحد .

***الدليل العقلي على وجوب اتصافه بالوحدانية:**

-لو كانت ذاته متعددة ومتركبة ولو كان له صفتان فأكثر من جنس واحد لكانت ذاته وصفاته مماثلة للحوادث وقد برهنا سابقا بالدليل العقل على بطلان مماثلته للحوادث عند الكلام عن وجوب مخالفته للحوادث.

-ولو كان أحد له نظير ذاته أو صفاته أو أفعاله لكان إلهاً ولا بد أن الاقوى منهما هو الذي سيغلب ويكون له التفرد بالملك ويكون هو الإله ويكون الآخر مغلوبا عاجزا وليس إلهاً.

-لو كان مع الله شريك يفعل مثل أفعاله لذهب كل واحد منهما مذهبا في الخلق يختلف عن الآخر ولأدى ذلك إلى فساد الخليقة والنزاع ، والذي يتأمل في الكون ونظامه انسجام افلاكه يدرك ان الفاعل فيه واحد لاشريك له.

ملاحظة هامة : لأنه قد ثبت لدينا في العقل ان الله واحد في ذاته فلذلك يستحيل أن يكون جوهراً لأن الجوهر هو جسم صغير جداً لا يقبل الانقسام لكنه يقبل التركب مع جوهر آخر

7- دليل القدرة :

برهنا فيما سبق على ان الله واجب الوجود وعلى أن العالم حادث قد كان عدما ، وثبت في العقل انه لا بد أن له من صانع ، فلا بد ان يكون هذا الصانع قادرا إذا لو كان عاجزا لما صنع هذا العالم وعندما نشاهد هذا العالم نجد فيه اثارا واضحة على كمال قدرة الخالق .

8- دليل الارادة:

-لو لم يكن مريدا لكان مكرها ولو كان مكرها لكان مقهورا ولو كان مقهورا لكان عاجزا لا قدرة له وقد قدمنا الدليل العقلي على اتصافه بالقدرة

-ولو نظرنا إلى انفسنا لوجدناها تتمع بإرادة محدودة فكيف يمنحنا هذه الإرادة ويكون هو محروما من الارادة.

9- دليل اتصافه بالعلم:

اذا نظرنا في الانفس والآفاق شاهدنا دقة المصنوعات وعجيب نمط نظامها المحكم وما فيها من الحكم والمنافع التي تعجز العقول على ادراك جميع أسرارها ، لذلك فان العقل يحكم ضرورة ان صانع هذا الكون متصف بالعلم والحكمة.

10- دليل اتصافه بالحياة:

لو لم يكن موصوفا بالحياة لما صح اتصافه بالقدرة وغيرها من صفات الكمال وقد بينا سابقا الأدلة العقلية على اتصافه بالقدرة والإرادة والعلم .

11- دليل اتصافه بالسمع :

-ان كل حي لا بد أن يكون قابلا للاتصاف بالسمع وضده فلا بد للحي أن يتصف بواحدة اما السمع وأما الصمم ، وقد دلت الادلة العقلية التي بيناها سابقا على كمال قدرة الله ونفوذ إرادته وإحاطة علمه فاقتضى عقلا اتصافه بكمال السمع.

12- دليل اتصافه بالبصر :

-وإن من ثبت اتصافه بالحياة والقدرة الكاملة والعلم والسمع المحيطان بالموجودات فلابد أن يكون له بصر محيط.

13- دليل اتصافه بالكلام :

-الذي أثبت العقل له الحياة والقدرة الكاملة والعلم المحيط ولا بد أن يكون كليما ، فإن لم يكن كليما كان أبكم والبكم صفة نقص لا تليق بمن أثبت له العقل صفة القدرة والعلم والحياة .

والذي أثبت العقل انه خالق المخلوقات المتكلمة باللسان والدلالة يستحيل أن يكون خالق المتكلمين لا يتصف بالكلام.

14- دليل اتصافه بالصفات الجائزة (الصفات الفعلية) :

لو لم يتصف الله بصفة الفعل لم يستطع العقل ان يكتشف أن الله واجب الوجود ولما استطاع العقل ان يكتشف ان واجب الوجود متصف بالقدرة الكاملة والإرادة الكاملة ، فقد دل الحس والمشاهدة على أفعال الله وبالنظر إلى خلق الله برهن العقل على وجوب وجود خالق لها متصف بالعقل وبالتفكر في الخلق تبرهن للعقل ان الخالق متصف بالقدرة والارادة وبمشاهدة دقة الخلق ونظامه تبرهن للعقل اتصافه بالعلم والحكمة ، فالذي دل العقل على كل هذا هو وجود الصفات الفعلية للخالق.

15- الدليل العقلي على اتصافه بالصفات الجامعة (كالكبرياء والعظمة والجلال و (...وان الصفات المتشابهة لا يصح في العقل حملها على حقيقتها الظاهرة :

*بعدما تبرهن للعقل ان الله واجب الواجد وانه متصف بالحياة والقدرة والإرادة والعلم وظهر للعقل ببرهان الحس والمشاهدة آثار قدرة الله ونفوذ ارادته فإن العقل يستيقن ان الحي العليم المريد القادر الذي خلق وبرأ وصور لا بد ان يكون متصفا بجميع صفات الكمال ومنزها عن كل صفة لا تليق بكماله وندفع عنه كل معنى فيه انتقاص .

*بعد ان برهنا بالدليل العقلي على وجوب اتصاق ربنا بمخالفة الحوادث فإن حمل الصفات – التي حقيقة معناها الظاهر تشبيه – على الحقيقة هو نقض للبرهان العقلي لصفة الوحدانية ومخالفة الحوادث

16- الدليل العقلي على أن الإيمان يزيد وينقص :

-لو لم يكن الايمان يزيد وينقص لاستوى ايمان الانبياء والمنافقين ، ولو استوى ايمان الناس لكان خلق درجات الثواب والعقاب والجنة والنار عبثاً لا معنى له .

-يدرك العقل بالحس المشاهد على وجود التفاضل بالإيمان بين الخلق

-يمكن في العقل ان يكون الناس مختلفين بالإيمان وان يكون الايمان لا يزيد ولا ينقص ، ففي هذه الحالة سيكون الايمان مقسوما على الناس كل واحد بقدر معين مختلف عن غيره وان هذا القدر المقسوم لا يزيد ولا ينقص ، وعند ذلك لو قبلنا بهذا الافتراض المنطقي العقلي ، فسيكون طلب الله من الناس الايمان و السعي إلى الكمال والدرجات العالية عبثا لا معنى ، وقد بينا في البراهين العقلية السابقة ان الله متصف بالصفات الجامعة ومنها الحكمة وأن العبث مستحيل في افعاله.

17- الدليل العقلي على بطلان اعتقاد أن الانسان خالق أفعال نفسه :

يعتقد الأشاعرة أن الله هو خالق أفعال العباد وإنَّما ينسب العمل

للعباد لأن العبد هو المكتسب له أي المريد للعمل والطالب له فهو يحاسب على كسبه أي (إرادته وعقد نيته) وليس الحساب على خلق العمل

***دليل العقل:**

لو كان الإنسان خالق أفعال نفسه للزم أن يكون عليما بأفعاله ونتائجها ، وقد ثبت ببرهان الحس المشاهد أن الإنسان جاهل بمآل أفعاله ، ولو كان الإنسان خالق أفعال نفسه للزم أحد أمرين :

-إما أن يكون الله خالقا لها مع الإنسان فيكون الإنسان شريكا لله في الخلق وهذا من الكفر بالله . وقد برهنا في السابق وحدانية الله واستحالة وجود شريك له في أفعاله

-وإما أن لا يكون الله خالقاً لها فيلزم أن يكون الإنسان خالقاً ما لا يخلقه الله وبذلك يقع العاقل في الطعن بقدرة الله وهذا من الإلحاد

باسم الله القدير والخالق وقد بينا سابقا الدليل العقلي على اتصاف ربنا بالقدرة الكاملة.

18- الدليل العقلي على أن التحسين والتقبيح شرعيان :

-الحكم على الشيء فرع من تحقق العلم الدقيق بحقائقه وبمآلاته و بكل ما يتصل به وقد دل الحس والتجربة على وجود جهل الإنسان فلا يكاد يوجد للإنسان إحاطة علم بشيء من الأشياء التي يتعاطاها ، لذلك عندما يفقد العقل أدوات معرفة الحقيقة الكاملة ستكون أحكامه غير دقيقة ، لذلك ليس له إلا الانصياع لأحكام من قال : ((والله يعلم وانتم لا تعلمون)) والذي قال : ((قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا)) فهؤلاء حكمت عقولهم على الشيء بالحسن وارتاحت نفوسهم اليه وألفوه والله اللطيف الخبير حكم عليه بانه قبيح .

-دل الحس والمشاهدة أن الناس متفاوتون في أحكامهم العقلية حول شيء واحد

فمثلا : عقول تستحسن أكل الفئران وعقول تستقبح ذلك ، فلو كان العقل مستقلا بالتحسين والتقبيح لما اختلفت أحكامه

*** الأدلة العقلية على وجوب اتصاف الرسل بالصدق والامانة والتبيلغ والفطانة :**

19- دليل الصدق :

لو وقع الكذب من الرسل لكان الله جل وعلا كاذبا في تصديقه للرسل لأنه أيدهم بالمعجزات التي هي بمثابة قوله : صدق عبدي فيما ادعاه .

ومن الادلة العقلية الحس والمشاهدة عند جريان الأمور في الواقع على وفق ما أخبر به الرسل عليهم الصلوات والتسليمات .

20– دليل الأمانة :

لو انهم خانوا فتلبسوا بمنهي عنه للزم ان يكون الشيء المنهي عنه مأمورا به ومنهي عنه بآن واحد ، وذلك تناقض وضرب من العبث ، ولما دلت المعجزات على صدق الرسل ثبت للعقل أنهم سفراء لله ويستحيل لله ان يتخذ الخائن سفيرا فلا بد من اتصافهم بالأمانة واستحالة الخيانة عليهم .

21– دليل التبليغ :

عندما جرت المعجزات على أيديهم وكانت المعجزات موافقة لدعواهم انهم رسل الله ثبت في العقل انهم سفراء الله والسفراء لا بد من اتصافهم بالأمانة واستحالة اتصفهم بالخيانة ، وإخفاء ما أمر السفراء بتبليغه يعتبر خيانة وقد دل العقل على استحالة اتصافهم بالخيانة فثبت انهم لم يخفوا شيئا امروا بتبليغه .

22– دليل الفطانة :

انما أرسل الانبياء لإقامة التوحيد و ارشاد الناس إلى طريق ربهم عز وجل وإبطال عقائد الخصوم بالحجج والبراهين واختيار أحسن المجادلات لإحقاق الحق ، فإذا لم يتصف الرسول بالفطانة لم يقدر على إقامة الحجة على خصومه .

23– الدليل العقلي على البعث والحشر والحساب والثواب والعقاب :

– قد قدمنا سابقا الأدلة العقلية على حدوث هذا الكون وعلى قدرة وحكمة صانعه ، وقدمنا الادلة العقلية المؤيدة بالحس والمشاهدة على احيائه للموتى ، لذلك فإن كل العقول التي تبرهن لها ذلك تقول : القدير الذي انشأ المخلوقات من عدم وأعطاها الحياة يكون من السهل عليه اعادة ة خلقها وبث الحياة فيها .

– العقول مفطورة على قبول العقاب للمجرم والثواب للمحسن ، وقد تبرهن للعقل بالحس المشاهد أن ثمت محسنين يموتون دون ان يحصلوا على ثواب لائق بإحسانهم ، وأن ثمت مجرمين لم يطالهم عقاب على

جرائمهم ، فلزم وفق فطرة العقول أن يكون لهم يوم يجازى المحسن على احسانه والمسيء على اساءته وخاصة فان المظلوم الذي لا يحصل على حقه تجده يؤمن بفطرته انه لا بد من يوم يأخذ فيه حقه ولو بعد الموت .

- ولما قبل العقل بوجود يوم يحاسب الناس فيه فيثابون ويعاقبون ، لزم من ذلك احياء الأموات منهم وجمعهم للحساب ، فان الإحياء للحشر والجمع هو اقرب المعاني قبولا لدى العقل فهو اقرب من احتمال محاسبتهم بدون احياء وحشر . ومما يجعل ذلك أقرب المعاني لأن المظلوم يتعلق بكل كيانه وعقله إلى انكشاف الظالم وظهور حقه ، وهذا المطلب لا يتحقق إلا بإحياء الناس وحشرهم وجمعهم للحساب .

24- الدليل العقلي على جواز مخالفة الوعيد وأن المعاصي لا تحبط العمل خلا الاشراك بالله :

- تقدم فيما سبق الدليل العقلي على كمال ارادة الله وقدرته ، وانه يفعل ما يريد ، فإذا توعد بعقاب وأراد ان لا يمضيه ، فهو يفعل ما يريد

- ترى جميع العقول إن إخلاف الوعيد هو انتقال إلى ساحة الإحسان والعفو والرحمة فيكون عدم تنفيذ الوعيد شيئا سائغا في العقول و من محاسن الكمالات فلا يمنع العقل هذه المحاسن أن يفعلها الله. كما ان صاحب الحق يزول تعلق حقه في عقاب ظالمه عند الترضية ، فإنه من الجائز أن يراضي الله الخصوم فإذا تراضى الخصوم ، لم يعد بد لتنفيذ الوعيد .

- يجوز في العقل اجتماع الحسنة والسيئة والخير والشر في الشيء دون محو ويجوز في العقل أن يمحو أحدهما الآخر ، لكن لا يمكن للعقل أن يرجح إحدى هذه الجائزات وبستبعد الأخرى لذلك لا بد له من من أدلة مرجحة ، ولأن الاعتقاد مسألة مطلوبة من جانب الشرع ، فليس امام العقل إلا الرجوع للمشرع جل جلاله فهو الذي يرجح حالة عقلية على أخرى وقد تضافرت الأدلة الشرعية على حبط العمل بالكفر دون غيره من المعاصي ، فالله هو الماحي والمثبت وهو الذي

يجازي بالسيئة والحسنة وانه يعفو يغفر ، لا نحكم في أمر إلا بحكم الله جل جلاله.

25 – دليل القضاء والقدر :

إن من يتفكر في هذا الكون ويجد بديع صنعه لابد ان يقول عقله لم يكن لهذا النظام المؤتلف بجميع مكونته ان يوجد صدفة ، وإذاً لا بد ان يكون ثمة تخطيط وتقدير لكل ذلك قبل خلقه ، ومثال ذلك المهندس ، فانه يرسم يقدّر الامور ويرسم المخططات ثم ينفذ ، وهكذا فعل ربنا فإنه قدر الأمور قبل الخلق ثم قضاها حسبما قدره في علمه الأزلي .

- كل العقول تعرف بالضرورة ان كل عمل حكيم لابد ان يسبقه تقدير وتخطيط ثم تنفيذ ، وهذه العملية إذا نسبت لله تسمى القضاء والقدر

تمت الرسالة بحمد الله